دادابهاي ناوروجي

العضو الهندي الاول في مجلس النواب الانكليزي

جرت عادتنا وعادة اكثر الكتّاب في مصر والشام ان نتاخر الاوربيين بارتقاء الرجل من اهالي الصين كما نتاخرهم بارتقاء رجل منا كأننا نحسب الصيني نسيباً والاوربي غريباً مع ان ممالك اوربا كلها اقرب الينا من بلاد الصين واهلها اعلق بنا نسباً من اهالي الصين والهند واكثر بلدان المشرق . بل اننا اذا ذكرنا الجزائر ومراكش حسبناها من الشرق وهما ابعد الى الغرب من كل ممالك اوربا كأننا نريد بالشرق ممالك اسيا وافريقية التي كان العمران ضارباً اطنابه فيها ثم اخنى عليها الدهر وطوّحت بها الايام وبالغرب ممالك اوربا واميركا التي رقت مراقي العمران في هذه الازمان . ومهما يكن من الامر فهذا المعنى قد شاع الآن وتناقلهُ الكتّاب وجروا عليهِ كأنهُ حقيقة مقرّرة . فترى الباحثين في احوال جميع الشعوب المتكلمة بالعربيّة والفارسيّة والهنديّة والصينيّة واليابانيّة يسمون انفسهم اورياتالست اي شرقيين ومجمعهم مؤتمر الشرقيين او مؤتمر علماء اللغات الشرقيّة ويتكلمون في مجتمعاتهم على الشعوب التي تتكلّم هذه اللغات كما ترى من خطبة الاستاذ مكس ملر التي ادرجناها في الجزء الماضي

ولقد احسن الاستاذ مكس ملر في نفيهِ وجود الفاصل بين الشرق والغرب واثباتهِ انهما كانا متصلين من قديم الزمان . وحبذا لو اقتدى بهِ جميع الكتّاب ورجال السياسة فحسبوا الناس كلهم اخوةً متكافئين في الحقوق . ولكنّ هذه الامنيّة لا ينالها المشارقة الاّ بسعيهم هم لان المرء حيث يضع نفسهُ لا حيث يضعهُ غيرهُ

وبعدُ فقد انبأنا البرق منذ مدة بانتخاب جمهور من الانكليز لرجل هندي ليكون نائباً عنهم في مجلس نوابهم وقد سرّنا هذا الانتخاب لانهُ هدم ركناً من اركان الفاصل القائم الآن بين الشرق والغرب وابان ان فضلاء الغرب اذا عدلوا قدروا فضلاء الشرق قدرهم وساووهم بانفسهم . وقد رأينا ترجمة هذا الرجل في النسخة الانكليزيّة من جريدة ضياء الخافقين فبادرنا الى تلخيصها اذاعةً لفضلهِ وتبياناً لما يستطيعهُ الرجل الواحد اذا ثقّفت عقلهُ العلوم وهذبت نفسهُ الفضائل وجعل الحزم لهُ ديدناً

قال ضياء الخافقين ما محصلهُ : ان فنسبري المركزي (حيٌّ من احياء لندن) جعل لنفسهِ اسماً في تاريخ السلطنة الانكليزية بانتخابهِ المستر ناوروجي فانام لسكان الهند المقيمين

والخمسين مليونًا اول نائب في البرلمنت الامبراطوري . وقد رأينا ان نذكر طرفًا من ترجمة هذا الرجل الذي استحق اكرام عظماء الانكليز وعظماء اهل وطنهِ لما في ذلك من الفكاهة والفائدة . فانا اذا نظرنا اليهِ في المناصب المختلفة التي تبوأها كتشيء وتاجر ووزير رأينا ان غايةً واحدةً كانت نصب عينيهِ دائمًا وهي ان يقف مصالحهُ الخصوصيَّة لمصلحة الجمهور . وقد قيل ليس لنبي كرامة في وطنهِ ولكن هذا الرجل قدَّر قدرهُ في بلادهِ مع انهُ خالف ابناء وطنهِ وناقض العوائد القديمة التي رسخت في نفوسهم رسوخ العقائد الدينيَّة فقالت فيهِ احدى جرائدها انهُ احتمل الفقر لكي يغني غيرهُ وضحَّى مصالحهُ لكي يجمع الاموال لنفع الآخرين ولم يكتفِ بذلك بل انفق اموالهُ عليهم

وهو ابن كاهن فارسي ولد في بمباي في الرابع من شهر سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٢٥ ويتم من ابيهِ وهو في الرابعة من عمرهِ فقامت امهُ على تربيتهِ وهي من فضليات النساء وكانت مثل نساء الفرس في عصرها غير متعلمة ولكنها كانت تعرف قيمة العلم ولزومهُ لابنها فعزمت ان تهذبهُ وتثقف عقلهُ فربتهُ التربية الحسنة واستعانت باخيها على تعليمهِ في مدرسة الفنشتون الكليَّة وكان الطلبة فيها يتعلمون اللغة الانكليزيَّة والعلوم وفنون الادب . واحبهُ الاساتذة لما رأوهُ من ذكائهِ ونجابتهِ وبرع في العلوم الرياضيَّة وكثيرًا ما كان يُختار للخطابة في اللغة الانكليزيَّة ولغة بلادهِ لفصاحة لسانهِ وحسن الفائهِ . ثم امتاز على اقرانهِ بالرياضيات والطبيعيات والكيمياء والاقتصاد السياسي ونال كثيرًا من الجوائز . ورآهُ السر ارسكن بري رئيس المحكمة العليا وناظر مجلس المعارف فطلب ان يرسلهُ الى بلاد الانكليز ليدرس فيها علم الحقوق فعارض ذوو قرباهُ في ذلك مخافة ان يعتنق الديانة المسيحيَّة . ثم عيَّن مدرسًا في المدرسة التي تلقَّى دروسهُ فيها وترقَّى في درجات التدريس الى ان صار استاذًا للرياضيات والفلسفة الطبيعيَّة . وهو اول استاذ وطني في مدرسة من مدارس الهند فقام بحقوق منصبهِ احسن قيام واشترك في جميع الاعمال الآيلة الى ترقية ابناء جلدتهِ ورفع شأنهم علميًّا وادبيًّا . وانشأ جريدة اسبوعيَّة سنة ١٨٥١ ولم تزل هذه الجريدة الى الآن ولها المقام الاوَّل بين الفرس بكان الهند وقد افادت في نشر الاصلاح ادبيًّا وسياسيًّا . وبذل الهمة في تعليم النساء تذكارًا لفضل والدتهِ . ونساء الهند مديونات لهُ بكثير من الحقوق التي يتمتعنَ بها الآن

وعاش طاهر الذيل ساعيًا في خدمة وطنهِ ولم ينل القابًا سامية ولا مالاً وافرًا ولكنهُ نال المنزلة الرفيعة في عيون جميع الذين عرفوهُ وكبَّ بكليتهِ على كل عمل شرع فيهِ حتَّى

صار قدوة لغيره وخلّص ابناء ملته من كثير من العقائد الوهميّة والعوائد الفاسدة

ولما انشئ بيت كاما في انكلترا وهو اول بيت تجاري هندي انشئ في لندن ولفربول اشترك فيه واقام في انكلترا ولكنه لم ينقطع عن الاشتراك في الاعمال العمومية النافعة لوطنه بل اوجد كثيرًا منها فهو الذي انشأ جمعية الطلبة العلميّة والاديّة وجمعية التربية ومدرسة بماي العالية والمكتبة الوطنية العمومية ودار التحف ونحو ذلك من الاعمال العموميّة

وسنة ١٨٧٤ جُعل وزيرًا لامير بارودا (احدى امارات الهند) وكانت شؤون تلك البلاد في اضطراب تام من كل وجه فاصلحها كلها على ما في ذلك المشاق التي ينوء تحتها اعظم الرجال لانه اضطران يقاوم رجال البلاط واهل المذاهب المختلفة

ثم انتُخب عضوًا في جمعية القوانين في بماي وانشأ المجمع الهندي في مدينة لندن وعين نائبًا عن الهند في لجنة دار العلم الامبراطوريّة وهو الآن عضو عامل في كثير من الجمعيات الانكليزيّة ولاسيما ما كان منها متعلقًا ببلاد الهند وله مؤلفات كثيرة عن الهند تدل على انه واسع الاطلاع قوي الحجة عالم بشؤون بلاده علمًا تامًّا

وهو صغير الجسم طلق المحيا فصيح اللهجة شديد العارضة يعد من اعظم خطباء العصر ولاسيما لغزارة علمه واستطاعته بسط كل موضوع يخطب فيه بسطًا يخلب عقول السامعين. واقام في بلاد الانكليز اكثر من ثلاثين سنة وخبر احوالها السياسيّة والاجتماعيّة احسن خبرة. وقد قيل ان كل امرىء يولد وهو مقدرة على ان يعمل عملاً لا يقدر عليه غيره وهذا شأن المترجَم له فانه ولد لكي يحرر بلاده من الاستعباد للجهل والاوهام ويجددها ويرقي بها اعلى مراقي النجاح السياسي والاجتماعي ففاز بكثير من امانيه. انتهى

هذه خلاصة ما جاء في ضياء الخافقين من ترجمة هذا الرجل العظيم. وكلّ من طالع تاريخ العمران القديم والحديث وخبر احوال الممالك شرقًا وغربًا يرى انه ظهر في كل الاعصار اناس نوابغ فاقوا ابناء جيلهم ذكاء واقدامًا وان كثيرين منهم توفرت لهم معدات النجاح فنجحوا في ترقية اوطانهم. وانما زاد عمران الامة وبُني على اسس راسخة زاد عدد هؤلاء النوابغ فيها وقدّرهم الناس قدرهم وانما قلّ عمرانها قلّ عدد نوابغها ولم يعرف قدرهم بين ذويهم وابناء جلدتهم بل قد يلاقون الاضطهاد بدل الترحاب والتحقير بدل التكريم حتّى لقد يقضي بعضهم شهداء الحق والفضيلة. والراجح عندنا انه لو لم يتعلم الرجل المترجم له لغة قوم يقدّرون الرجال قدرهم ويبسط افكاره فيها لما لقي ما لقيه من الاكرام فلقد كان موفّقًا باتقانه اللغة الانكليزيّة وجعلها آلة لبث آرائه